دور الزمخشري في المحافظة على أصالة اللغة العربية
من خلال تفسيره "الكشاف"

د. محمد سليم محمد سلطان، وأ. د. صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري، قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، كلية اللغات والسانيات بجامعة مالايا، كوالا لومبور.

المقدمة

إن أعز عامل من عوامل ثبات اللغة العربية هو تشريفه سبحانه تعالى هذه اللغة بقرآنه الكريم، وجعلها لغة آخر أنبيائه عليه الصلاة والسلام. فأصبحت لغة العلم والأدب والتجارة والتقنية والحضارة الإنسانية لقرون طويلة، ولاتزال لغة حية خالدة، لن تموت أبدا إلى آخر الزمن، لأن الله سبحانه وتعالى قد اصطفاها لتكون هي لغة كلامه سبحانه وتعالى دون غيره من اللغات، وقد ظهرت جهود ضخمة مشكورة من العرب كما بذلت من العجم تفسير لغة كلامه تعالى (البيان المبين). وأجمع أدباء اللغة العربية وعلماؤها على أن محمود بن عمر الزمخشري كان واحدا منهم أفرغ شطرا كبيرا من حياته محبا للعلم مع كونه من أصل فارسي. ونال مكانة علمية رفيعة حتى يدعى علما من أعلام العربية، فضلا عن كونه إمام المفسرين. وما ذاك إلا بحبه للعربية كما يقول في مقدمة كتابه "المفصل" "الله أحمد أن جعلني من علماء العربية". ودور الزمخشري في تطور العلوم العربية والأدبية دور مرموق، لأصالة مؤلفاته العربية في هذا الميدان، فهو رائد الفكر الإسلامي العربي. وتفسيره "الكشاف" يعتبر موسوعة بلاغية عربية جامعة. ويراه العلماء أشهر كتبه، وأعلاها منزلة وشرفا. ألفه في أواخر حياته، وجمع فيه حصاد عمره من الثقافة الإسلامية العربية، فجاء بمائدة شاملة بخير الزاد، وذلك بعون الله وتوفيقه. ومن الواضح أن الزمخشري عالم من علماء العقل، وحاول أن يبين بعقله الجري أن يظهر ويبين الجمال البلاغي في القرآن بمنظاري علمي والبيان.

١- ولادته وبيئته

ولد أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر[١](١٠٧٤م). وتعتبر هذه الفترة أزهى الفترات لازدهار الآداب والعلوم العربية. ونشأ أبو القاسم بـ(زمخشر) ودرس بها ما يدرسه الجميع، حيث كان هناك جماعة من العلماء خرجهم إقليم (خوارزم) جمعوا بين علم العربية والأدب والعلوم الدينية. ثم رحل إلى مراكز العلم كبخارى وبغداد والشام ومكة، لينهل من مناهلها في مطلع حياته[٢]، والزمخشري منسوب إلى (زمخشر)، وهي قرية مندثرة، كانت تقع بالقرب من (خوارزم) أى (خيوه). وكانت تعد من ضواحيها، ولم تكن بعيدة عن مصب نهر جيحون (أسوداريا). وهذا الإقليم يتبع اليوم جمهورية أوزبكستان السوفيتية. وهناك جماعة من العلماء تنتمي إلى (زمخشر)، من أشهرهم الزمخشري اللغوي المفسر[٣]. والزمخشري علم من أعلام الفكر الإسلامي العربي. وتفسيره "الكشاف" الذي يعتبر موسوعة بلاغية عربية جامعة من أشهر كتبه، وأعلاها منزلة وشرفا. وهذا الكتاب خير شاهد على تنوع ثقافته في العلوم الدينية واللغوية والأدبية والبلاغية. ومن المعلوم أن العلوم التي تطرق إليها الزمخشري في تفسير القرآن الكريم، هي العلوم البلاغية، لكونها وثيقة الصلة بإعجاز القرآن الكريم وفصاحته. وكان الزمخشري إمام عصره بدون جدال. ولقبه جار الله أكبر شاهد لمجاورته بيت الله الحرام زمانا، وألف مجاورا لبيت الله كتابه البديع، الكشاف في تفسير القرآن العزيز المعجز، وجدير بالذكر أنه لم يصنف قبله ولا بعده مثله. ونعم ما قال عنه الزمخشري نفسه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد *** وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته *** فالجهل كالداء والكشاف كالشافي[٤]

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان :ص: ١٧٣
(٢) المصدر السابق، جـ٤، ص: ٢٥٥
(٣) القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله، جـ٣، باب زمخشر
(٤) معجم الأدباء، جـ١٩، ص: ١٢٩

وكان أبو مضر– كما يقول الرواة – يلقب بفريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب. يضرب به المثل في أنوق الفضائل، أقام بخوارزم مدة وانتفع الناس بعلومه، ومكارم أخلاقه وأخذوا عنه علما كثيرا، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة منهم الزمخشري، وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشر بها، فاجتمع عليه الخلق لجلالته، وتمذهبوا بمذهبه، منهم أبو القاسم الزمخشري[٥]. ومن المعروف أن العصبية الجنسية قد بلغت أشدها في ذلك العصر الذي عاصره الزمخشري. وقد انتهز الأعاجم ضعف الخلافة العباسية، وتفرق العرب، وقيام دويلات غير عربية فرصة ليتعالوا على العرب ويقللوا قدر العرب وتاريخهم، فحاولوا أن يحيوا لغتهم القومية على العربية فوقف الزمخشري ضد هذا التيار الشعوبي، لأنه كان يصل بين العروبة والإسلام، وما بين اللغة العربية والثقافة الإسلامية. فهذا ما بدأ به في كتابه "المفصل": "الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وانحاز وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين والمشق بأسنة الطاعنين وإلى أفضل السابقين والمصلين أوجه أفضل صلوات المصلين محمد المحفوف من بني عدنان بجماجمها وأرحائها النازل من قريش في سرة بطحائها المبعوث إلى الأسود والأحمر بالكتاب العربي المنور ولآله الطيبين أدعو الله بالرضوان وادعوه على أهل الشقاق والعدوان ولعل الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها حيث لم يجعل حيرة رسله وخير كتبه في عجم خلقه، ولكن في عربه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج وزيغا عن سواء المنهج والذي يقضى منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقهيا وكلاميا، وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الإعراب والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبوبه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم والتشبث بأهداب

---

(٥) معجم الأدباء جـ١٩، ص :١٢٣

تفسيرهم وتأويلهم، وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم وبه تقطر في القراطيس أقلامهم وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم فهم ملتبسون بالعربية أية سلكوا غير منفكين منها أينما وجهوا كل عليها حيثما سيروا ثم إنهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها وتعليمها ويدفعون خصلها ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها وينهون عن تعلمها وتعليمها ويمزقون أديمها ويمضغون لحمها، فهم في ذلك على المثل السائر الشعير يؤكل ويذم، ويدعون الاستغناء عنها وإنهم ليسوا في شق منها، فإن صح ذلك، فما بالهم لا يطلقون اللغة رأسا والإعراب ولا يقطعون بينهما وبينهم الأسباب فيطمسوا من تفسير القرآن آثارهما وينفضوا من أصول الفقه غبارهما، ولا يتكلموا في الإستثناء، فإنه نحو، وفي الفرق بين المعرف والمنكر، فإنه نحو، وفي التعريفين تعريف الجنس وتعريف العهد، فإنهما نحو، وفي الحروف كالواو والفاء وثم ولام الملك ومن التبعيض ونظائرها وفي الحذف والإضمار وفي أبواب الاختصار والتكرار وفي التطليق بالمصدر واسم الفاعل وفي الفرق بين أن وإن وإذا ومتى وكلما وأشباهها مما يطول ذكره، فإن ذلك كله من النحو[٦].

٢- "زمخشر" مركز العلم والثقافة

وبلدة زمخشر وما حولها من المدن والعواصم من البلاد التي فتحها العرب بقيادة قتيبة بن مسلم وبعد الفتح ما زالت تدعى مركزا من مراكز الثقافة العربية والإسلامية، ومهدا لكثير من كبار العلماء كالزمخشري والرازي والسكاكي والمطرزي والديلمي وأمثالهم. وهذه البلدة تخص بأهمية كبيرة في تقدم الحضارة في آسيا الوسطى. ومدينة خوارزم كانت مزدهرة بالثقافة الإيرانية القديمة.

ويذكر المقدسي عند وصفهم عن رغبة أهل هذه البلدة في طلب العلم: قلما لقيت إماما في الفقه والأدب والقرآن إلا وله تلميذ خوارزمي. قد رزقهم الله تعالى الرخص والخصب وخصهم بصحة القراءة والزهد. أهل ضيافة وهمة في الأمل، وبأس وشدة في الحرب، ولهم خصائص وعجائب[٧].

---

(٦) المفصل للزمخشري، ص: ١ – ١٩

(٧) انظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ص: ٢٢٦

وخير دليل على هذا ما يحكى عن ابن قتيبة أنه قال: خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة، لما أتى الله بالإسلام، كانوا فيه أحسن الأمم رغبة، وأشدهم إليه مسارعة منا، من الله عليهم، أسلموا طوعا ودخلوا فيه أفواجا، [٨]وصالحوا عن بلادهم صلحا فخف خراجهم. وقلت نوائبهم، ولم يجب عليهم سبي، ولم يسفك بينهم دم مع قدرتهم على القتال وكثرة العدد وشدة البأس[٩].

٣- (خلفية تاريخية) دور المعتزلة في التصدي للحركات المعادية للإسلام

ووجدت الحركات المعادية الهدامة لعقيدة الإسلام وروحه، مثل فرقة الزنادقة، والثنوية، والزرادشتية الغلاة. والمرجئة، والمجبرة، وروافض الشيعة، بل النصارى، واليهود، والدهريين الماديين، والمانويين الثنويين الضالة. وبناء على أفكارهم الدخيلة في ذلك المجتمع وأصحابها ما سكت هؤلاء عن نقد ما جاء به القرآن الكريم، ونشوب التشكيك برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبدأت تؤثر هذه الأفكار في المجتمع المسلم المعاصر له مباشرا وغير مباشر. وكان دور المعتزلة في هذا الميدان مشكورا بتسلحهم بحجج عقلية ومنطقية في حقل المعركة الفكرية للدفاع عن عقيدة الإيمان والإسلام، وما يتصل بها من توحيد الله، وتنزيهه عن التشبيه، وحقائق النبوة، والثواب والعقاب في الآخرة. لكون مذهبهم محكما متشددا يعتمد في الآراء والأحكام على المعقولات قبل المنقولات في ذلك العصر. وتقدم المعتزلة بدور المدافعين عن الإسلام وكان عليهم أولا أن يتسلحوا بسلاح الفلسفة اليونانية، وما فيها من منطق، وما امتزج بها من لاهوت، لأن أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى المناهضة للإسلام كانوا قد أحاطوا دياناتهم بسياج فلسفي، فكان من الطبيعي أن يطلع المعتزلة على رأي خصومهم يتأملونه ويدرسون مواطن القوة والضعف فيه، ليهاجموهم من الجانب الضعيف فيقودهم إلى الهزيمة، وما كان يتسنى لهم ذلك بغير معرفة السياج الذي يتحصن به أصحاب تلك الديانات وهو الفلسفة. وكان لدى المعتزلة سلاحان هامان، وهما الفلسفة واللغة، والمراد باللغة حسن الكلام بالدين، وقد يؤكدهما الجاحظ "ولا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا في

(٨-٩) المصدر السابق، ص: ٢٢٩ – ٢٣٠

الصناعة يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة والعالم عندنا هو الذي يجمعهما[١٠].

٤- البلاغة العربية وتفسير "الكشاف"

ومن المعلوم أن العلوم التي تطرق إليها الزمخشري في تفسير القرآن الكريم، هي العلوم البلاغية، لكونها وثيقة الصلة بإعجاز القرآن الكريم وفصاحته. والقرآن كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها الخالدة المتجددة، ما دامت السموات والأرض. وتحدى الله العرب، بل الإنسانية جمعاء، مع معرفتهم البالغة في أسرار العربية، وأسباب البيان والبلاغة، أن يأتوا بسورة واحدة على الأقل، ولا يزال هذا التحدي قائما، وذلك على الرغم من مضي قرون متعددة، ببدء التنزيل على محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين[١١])، وما استطاع أن تداني كتاب الله في روعة بيانه، وكمال صفاته، وسمو معانيه، ودقة تشريعه، وما إلى غير ذلك، وفيها يوحي القرآن بإعجازه. وهذا الإعجاز، وسبب عجز العرب أمام كتاب الله هو الموضوع الذي حاول أن يبينه الزمخشري في كتابه الكشاف. فالبحث في كتاب الله، من أفضل بحث نقوم به في العلوم العربية وفنونه. ومعلوم أن للزمخشري جهدا بلاغيا مرموقا، في تفسيره "الكشاف"، ومؤلفاته الأخرى، مثل "المفصل"، و"أسرار البلاغة"، وغيرهما خير شاهد على ما نقول. ولما كانت حركة الفتح الإسلامي تعرض الكتاب العربي لحركة طعن وتشكيك مما دعا إلى الدفاع عنه، والبحث في قضية الإعجاز بحثا علميا منظما، التي دارت حول قطبين: أولهما أنه معجز بنظمه، أو معجز بالصرفة، أو هو معجز بكليهما معا، وكانت هناك آراء مختلفة في النظم. ورأت جماعة بأن معجزته، بفصاحة ألفاظه المنظومة، ورأت الأخرى أنه معجز بأحكام معاني النحو الحادثة، من تأليف الكلم ونظمه. وقد ذهب الزمخشري على الرأي الأخير، وعالجه على نطاق واسع في تفسيره يشمل في جميع الآيات القرآنية. فوقفنا على مزية نظم القرآن، من ناحية الجمال الحادث، عن أحكام معاني النحو، وتنبه إلى إيحاءات الألفاظ، وما تلقيه من ظلال معنوية، ونفسية، استجلى جمالها، وعرض للألفة

---

(١٠) الحيوان للجاحظ، ج٢، ص: ١٣٤

(١١) سورة البقرة، الآية: ٢٣

النفسية، والمعنوية، بين الألفاظ المنظومة. والزمخشري في معالجته الجمالية لصور البيان القرآني، نفذ هذه المعالجة لرأي المعتزلة اللغوي، في أن معظم اللغة مجاز. ثم عرض لصور من البيان القرآني، تتبع مزاياه الجمالية. ثم ذهب إلى أن اللفظ خادم للمعنى، وأنه ظاهر، والمعنى باطن. أما مبحثه في الإعجاز القرآني، فقد كان يسير ما اتسم به البحث البلاغي على مدى العصور، وظفر في هذا المجال.

ومن أكثر ما يلمح في "الكشاف" الصور البيانية، ويعرض الزمخشري اللفظ القرآني لفظا عرفه العرب في معاني منطقها، لأن القرآن عربي ومعانيه معاني كلام العرب، على سبيل المثال لو قرأنا كلامه تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان)[١٢]. فإن قلت: هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به؟ قلت: لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس يثبت، ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام: واعفوا اللحى. والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها، وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها[١٣]. وحين يفسر لقوله تعالى:(ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم، ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين[١٤]) نراه يتابع نهج اللغويين الأوائل الذين سمعوا من العرب ومن سماعهم يفسرون كلام الله وهكذا يفسر الزمخشري.

لقد أدى المعتزلة للإسلام في هذه الحالة خدمة لا تقدر، وبمجيء الدولة العباسية تحمست الفرس، لأنها قامت على أكتافهم، وطارت على عاتقهم، ولكن مذاهب الفرس وجدت فيهم كفرقة ثنوية وتشبيه وتجسيم وغيرها، وإعطاء الحرية للفرس صار خطرا أكبر لدخول هذه المذاهب الخطيرة وتأثيرها لدى المسلمين، وما تفطن الخلفاء العباسيون في أمر

([١٢]) البقرة، الآية: ١٧٨

([١٣]) الكشاف، ج١، ص: ٨٨

([١٤]) الأنبياء، الآية: ٧٦، ٧٧

اليهود والنصارى فاستخدموهم في علم الطب وغير الطب، وعينوهم كذلك في فن الترجمة إلى العربية، فصار ذلك من دوافع تقريبهم واختلاط المسلمين بهم أكثر مما كان سابقا في العصر الأموي. واتخذ طائفة من الفرس واليهود والنصارى هذه الحرية طريقا ليتبعوا ما بقي في أذهانهم من عقائدهم القديمة وليقوموا بنشرها، ولذلك نجد في هذا العصر دعاة كثيرين يدعون إلى جماعتهم التي انتموا إليها من ثنوية ومانوية الفرس، والبعض منهم كانوا معلمين من اليهود والنصارى، والآخرون كانوا ناشري أقاويل الهنود الأقدمين، وبعض هؤلاء الدعاة دخلوا في لباس الإسلام، وبعضهم قاموا بدعوتهم علانية، وبدأ الجدال والمناظرة في أدق المسائل وأعمقها، ولم يستطع العلماء المسلمون من المحدثين والفقهاء أن يقفوا أمامهم بأدلتهم الساطعة النقلية، لأن أولئك العلماء المسلمين ومن معهم كانوا أكفاء في النصوص فقط، والذي ينكر الإسلام ويجادل ضده لايقتنع بمجرد ذكر آية قرآنية، أو رواية حديث نبوي صحيح، بل إنما يصمتهم دلائل عقلية على وجود الله، وعلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى صحة أن القرآن من عند الله، كما يريدون دلائل عقلية على بطلان مذاهبهم، وكان هؤلاء جميعا قد تسلحوا بالفلسفة اليونانية واستخدموا منطقها فكونوا منه براهين على مذاهبهم، واستخدموا اللاهوت اليوناني يدعمون به معتقداتهم، فكان لابد لمن يقنعهم ويرد عليهم أن يتسلح بسلاحهم، وأن يكون على معرفة تامة بأساليبهم وأسرار مذاهبهم، فيقرع حجة عقلية بحجة عقلية أخرى أشد من ذاك، كما تؤخذ الشوكة بالشوكة، ويحمي المسلمين من هجومهم، وينقح العقيدة الإسلامية كما هي نقية من الدنائس والأباطل، وبث دعواتهم، فلم يستطع أحد من هؤلاء أن يقوم بهذه المهمة، ويحمل هذا العبء في ذلك العصر إلا المعتزلة، فقد نازلوا جميع تلك الحركات الهدامة، وجعلوا قوما من الثنوية يدخلون في الإسلام بناء على دعوتهم، وألفوا الكتب الكثيرة في الرد عليهم، ونازلوا اليهود والنصارى وردوا عليهم، وألفوا في إثبات النبوة عامة، وفي إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، وأبلوا في ذلك بلاء حسنا، وتبعا من هذه السلسلة العلمية يعتبر الزمخشري أحد أكبر علماء المعتزلة في القرن السادس الهجري، وأحد آخر كبار الرعيل الاعتزالي، والمحكم المتقن، في جبهة المعتزلة.

وكانت مذاهب أهل بلده مستقيمة وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة[١٥].

وقد جل وذاع فضل الزمخشري وعظم في أعين الناس حتى أثنى عليه العلماء كلهم. يقول فيه السمعاني: "كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو"[١٦]. وقال ابن خلكان: "كان إمام عصره غير مدافع تشد إليه الرحال في فنونه"[١٧]. ويقول ياقوت: "كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننا في علوم شتى"[١٨].

ويقول أحمد أمين: "فقد بلغ الزمخشري الذروة في التفسير بالرأى"[١٩]. بأن بيئة اللمية التي انتسبها الزمخشري جعلته يميل إلى تفضيل العقل على النقل، كما دربته على الحجج الكلامية والجدلية، والمنطق، والفلسفة، وتناولها، للغة والنحو على أساس علمي منطقي منظم. ولن نكون مبالغين إن قلنا إن الضبي كان شديد العصبية للاعتزال، وذا حمية في نشره وإذاعته بخوارزم. وهذه الروح المتعصبة المتحمسة بثها في نفس تلميذه الزمخشري[٢٠]. ونعلم أن الزمخشري كان مفتخرا بانتماءه إلى الاعتزال، حتى إذا أراد أن يزور صاحبا له وطلب الإذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب[٢١].

وكما ذكرنا سابقا بتزاوج العجم مع العرب دخلت الثقافات الأجنبية لدى العرب، رغم هذا لم تسلم من ضعف العربية ودخول العجمة في العربية الفصحى، وكانت هناك دعوة مكثفة إلى تناول العربية الفصحى في التخاطب والكتابات على اللغة العربية الأصيلة التي نزل بها القرآن الكريم. فقد قرر علماء العربية القدامى بوضع ضوابط وقواعد تحد من الإمعان في اللحن. ويقول الزمخشري في كتابه المفصل بعد أن حمد الله وأثنى عليه أن جعله من علماء العربية، يقول: "وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين والمشق

([١٥]) انظر المصدر السابق، ص: ٢٣٦

([١٦]) الأنساب للسمعاني، ص: ٢٧٧

([١٧]) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٢، ص: ١٠٧

([١٨]) معجم الأدباء لياقوت، ج١٩، ص: ٤٧٠ – ٤٧١

([١٩]) ظهر الإسلام لأحمد أمين، ج٢، ص :٤١

([٢٠]) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبين إعجازه لمصطفى الصاوي الجويني، ص:٢٨

([٢١]) وفيات الأعيان، ج٢، ص: ١٠٨

بأسنة الطاعنين[٢٢]. وقد قال الزمخشري: وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية ففقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع[٢٣]. وقال الزمخشري: أجدى من تفاريق العصا، هذا مثل يضرب لما يكثر الانتفاع به، ويقول أيضا: ومن لم يتق الله في تنزيله فاجترأ على تعاطي تأويله وهو غير معرب ركب متن عمياء، وخبط خبط عشواء، وقال ما هو تقول وافتراء وهراء وكلام الله منه براء.

وأجمعوا على أن فعل العبد غير مخلوق فيه. وأجمعوا على تولي الصحابة، واختلفوا في عثمان بعد الأحداث التي أحدثها فأكثرهم تولاه وتول له.. وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص، وأجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢٤]. وذلك باعتباره من أصول رسالة الإسلام.

وهكذا يتجلى دور الزمخشري في فهم لغة رسالة الإسلام، وفي فهم مراد الله سبحانه وتعالى من (البيان المبين) وفي شرحه وتفسيره المنفرد الذي لم ير مثله حتى الآن. فله الفضل في المحافظة على أصالة لغة (البيان المبين) المجيدة، وتفسيره "الكشاف" يعتبر أساسا متينا لحماية أصالتها، وهذا الفضل يجب أن يذكر كلما يجري الحديث عن بيان أصالتها.

د. محمد سليم محمد سلطان، محاضر في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية،
جامعة فارادينييا، سريلانكا.
msaleem@pdn.ac.lk.

(٢٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج١، ص: ٥

(٢٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج١، ص: ٨

(٢٤) المنية والأمل للمرتضى، ص: ٦